

## القرآن الكريم في كتاب انثر الفنى للأستاذ محمد أسد الغمراوي

— — —

نمر

يشكك الناس فيهم . ولا بأس من أن نتخذ له هذه المرة فننظر  
فيما أتى

يقول إننا نحاربه لا الدين ، وسكن ليكون لاسمنا ذكر مع  
اسم الكريم . ولو وجد الدكتور شيئاً غير هذا يقوله لقاله ،  
ولكنه نظر فوجد أننا لا نتخذ الأدب صناعة فيأتيها من ناحية  
النافسة ، ولا يجوز عنده أن تكون محاربتنا له لوجه الله ،  
فلم يبق إلا أن يقول أننا نلتهم الشهرة عن طريق التعرض له  
والطعن فيه

إن كان ذلك كذلك ، فلماذا تركنا الدكتور كل هذه  
السنين يبدى ويعيد في الأخلاق وغير الأخلاق مما يتصل بالدين  
اتصالاً وثيقاً أو غير وثيق ، من غير أن نتعرض له إلا مرتين  
بفصلهما خمس سنين : الأولى حين ختم كلمة له في نعيم الجنة  
بذلك الدعاء المأجنى : « اشغلى عنك يا رباه بأطياب نعيم الجنة ،  
فإن نظرى لا يقوى على نور وجهك الوهاج » . والثانية حين  
كتب مقالته : « أعوذ برب الفلق من شر ما خلق » الذى  
أنكره ابتداء ، حين حوسب على بعض ما فيه ، ثم أقر به لما  
أيقن أن لن يصدقه أحد في الإنكار ، كالرجل الذى يتبرأ من  
ولده الجانى وينكره ثم يستأخفه إذا وجد عار الإنكار أكبر من  
عار الإقرار ... مناسبتان اثنتان بينهما خمس سنوات لم نتعرض  
للدكتور إلا فيهما في عمر الدكتور المملوء بما يؤاخذ عليه  
في الأدب والأخلاق والدين . فهل لم يكن بنا حاجة إلى الشهرة  
طوال تلك الأعوام لنتلمس التحليل في جوها على جناحه المتين ؟  
وقد وقع الرجل على حيلة أخذها عن صديقه الشيطان<sup>(١)</sup>  
هى أن يسمى المسميات ضد أسماؤها ليدخل على بعض النفوس  
عن طريق الإيجاء . فستر الإنسان جسمه بالثياب رياء واعوجاج  
في الضمير<sup>(٢)</sup> ؛ والدعوة إلى تعريقه دعوة إلى الحياة<sup>(٣)</sup> ؛  
واحتضان الفتاة للفتى هو مثال الفرح النبيل<sup>(٤)</sup> ؛ وهجوم الفتاة  
على الفتى طاعة لغريزة كريمة<sup>(٥)</sup> ؛ وانتهاب الجلال هو في ذاته  
شكران لخواص الجلال<sup>(٦)</sup> ؛ والشيطان مخلوق شريف<sup>(٧)</sup> ؛

شكنا الدكتور زكى مبارك العدد ٥٥٧ من الرسالة من  
أنى كتبت فيه كلمة مؤذبة سبها كلمات مؤذيات ، وزعم أنى  
أبحث عن فرصة جديدة تؤيد غرضى باتهامه في إسلامه ، وأن  
الباعث على محاربتى إياه ليس هو الدين ، ولكن غرامى بأن  
يقرن اسمى الدكتور زكى .

وتأذى الدكتور زكى مبارك بما كتبت ليس لى فيه من  
فضل ، فالفضل - أو الذنب - فيه راجع كله إلى الدكتور  
الفضال . فهو الذى لا يفتأ يتعرض للدين بما لا يمكن أن يفهمه  
عليه عقل ولا دين ، وبما يخالف الكتاب والسنة والإجماع عند  
المسلمين . يتعرض للجزئية من الجزئيات يجوز فيها الخلاف ،  
ولكن للأصول التى يقوم الدين بقيامها ، وينهدم بانهدامها ،  
كأصل إعجاز القرآن ، وأن القرآن كتاب الله لا كتاب محمد  
ابن عبد الله

والخصومة التى بيننا ليس منشؤها ما يعتقد الدكتور زكى  
مبارك ، ولكن ما يعلن الدكتور ويدعو إليه . فاعتقاده ودينه  
أمر بينه وبين ربه ، أما ما يعلن يكتب فأمر بينه وبين الناس .  
هو حر فيما يرى ويفكر وفيما يعتقد . ما اقتصر ذلك على ذات نفسه ،  
أو ظل سراً بينه وبين خلصائه . لكنه يفقد تلك الحرية فى  
اللاحظة التى يحاول فيها أن يتخذ من الأدب وسيلة لبث آرائه  
ومعتقداته بين الناس . إنه فى تلك اللحظة يصطدم بما يعتقد  
الناس ، إذا كان ما يعتقد يخالف ما يعتقدون ، خصوماً إذا كان  
ما يعتقدونه هو الحق وما يدعو إليه هو الباطل . أفيمجب  
الدكتور عندئذ أن يرتد عليه الاصطدام فيتأذى به كما آذى به  
الناس ؟ أم هو يظن أن الحرية له فى الهجوم ، وأن ليس لغيره  
حرية فى الدفاع ؟

وللدكتور فى الخصام حيل كتلك التى تكون فى القتال ،  
منها أن يلقى إلى خصومه أقوالاً يرجو أن يشغلهم بها وأن

(١) العدد ٢٣٠ من الرسالة صفحة ١٩٣٤

(٢) و (٣) العدد ٥٢٩ من الرسالة صفحة ٦٦٨

(٤) و (٥) العدد ٤٤٦ من الرسالة صفحة ٦٢

(٦) العدد ٤٥٥ من الرسالة صفحة ٣٤٦

(٧) العدد ٢٥٧ من الرسالة صفحة ٩٤٤

والأديب الحق يستبيح في عتاب الأقدار ما لا يباح<sup>(١)</sup> ؛  
وبعض الكفر إيمان ولكن أكثر الناس لا يفقهون<sup>(٢)</sup> ؛  
إلى آخر ما هنالك

ولست في شيء مما كتبت أو أكتب عن هذا الرجل  
متجنياً عليه أو مبالئاً ، فتلك المعاني التي نسبتها إليه آنفاً ليست  
من عندي ولكن من عنده . هي بعض عباراته تشهد عليه ،  
وبعض بضاعته ترد إليه

وحيلة أخرى لهذا الرجل أن يلقى إليك المعنى الذي يعرف  
أنك تأباه مقروناً بمعنى يعرف أنك ترضاه ليسهل عليك بهذا  
قبول ذلك ، أو على الأقل ليوقفك موقف المرتاب . فتراه مثلاً  
يقول لك : « انتفع الصوفية بسماحة الإسلام ، وهو دين يأبى  
أن يكون بين المسلم وربه وسيط ، فقرروا أنهم أرفع من الأنبياء .  
وهذا كفر بظاهر القول ، ولكنه في الجوهر غاية الإيمان »<sup>(٣)</sup> .  
فانظر كيف رتب على المعنى الذي يعرف أنك ترضاه معنى يعرف  
أنه لو ألقاه إليك مجرداً لا يثبت عليه ، ولنبذت إليه . والمعنى الذي  
ألقاه معنى ذو نتوء كراؤس إبليس . ظاهره أن الصوفية يضعون  
أنفسهم فوق مرتبة النبوة ، لأنهم أعرف بالله وأرعى له من الأنبياء ،  
وباطنه أن ليس بهم ولا بك إذا ارتقيت مثلهم إلى الأنبياء  
حاجة ، وإلا كان بينك وبين الله وسطاء ، والإسلام يأبى أن  
يكون بين المسلم وربه وسيط ؛ فتلك هي في رأي زكي مبارك  
سماحة الإسلام وبها انتفع الصوفية ! والرجل يكذب في الحالين  
على الصوفية وعلى الإسلام . فلا الإسلام يهدم نفسه بسماحة  
حقاء كالتي نسبها إليه زكي مبارك ، ولا الصوفية بلغ بهم الغرور  
أن يروا أنفسهم فوق الأنبياء

ومثل آخر من نفس الباب قوله<sup>(٤)</sup> : ( وفي طلب السلامة  
من أذى السفهاء . قال الرسول : « نحن معاشر الأنبياء لا نورث  
ما تركناه صدقة » ... والمدل يوجب أن يكون ما يترك الأنبياء  
ميراثاً حلالاً لا بنائهم ، ولكن الحرص على قطع السنة المتزيدين  
هو الذي أوجب أن يحرم الأنبياء أبناءهم من ذلك الميراث .  
وذلك ظلم جميل ! ) هكذا يقول زكي مبارك ، وهكذا يقدم

لقرائه في هذا الكلام قبلة ملفوفة تكفي لنسف أي إيمان  
دعك مما في كلامه هذا من مثل « جميل » و « رسول »  
( وأنبياء ) و « قطع السنة المتزيدين » وتأمل ما وراء ذلك تجده  
يريد أن يدخل في نفسك أن ترك الأنبياء أموالهم كلها صدقة  
شيء فعلوه من عند أنفسهم لا بأمر ربهم ، وأنهم بذلك ظفروا  
المدل ووقفوا في أقبح الظلم ، ظلم الأبناء . ومن أجل ماذا ؟  
من أجل السلامة من أذى السفهاء وقطع السنة المتزيدين ، أي  
من خوف الناس ! وماذا يبقى من مبدأ عصمة الأنبياء بعد هذا ؟  
لا شيء . عقد من يقبل من زكي مبارك هذا الكلام ، وعلى دينه  
المغفاء !

وإذا رجعت إلى حديث الرسول صلوات الله عليه - وزكي  
مبارك حرف المعنى ولم يحرف اللفظ - تجده يحتمل على الحجة  
المبطلية لكل ما ذهب زكي مبارك إليه ، وهي قول الرسول  
( نحن معاشر الأنبياء لا نورث ) بصيغة التعميم لا بصيغة  
التخصيص . فلو صدق ذلك على بعض الأنبياء دون بعض  
لما كان من سنن النبوة ، ولكن من رأى ذلك البعض ، ولجاز  
ولو من بعيد ما زعمه زكي مبارك . أما وهو صادق على الأنبياء  
أجمعين فلا بد أن يكونوا فعلوه عن أمر الله لا أمر أنفسهم ،  
لا طرادهم فيهم على اختلاف الأزمان - والاطراد على اختلاف  
الزمن هو طابع الفطرة التي هي دين الله - ثم لاستحالة معرفة  
الرسول صلوات الله عليه أن الأنبياء أجمعين كانوا يفعلون ذلك  
إلا بإخبار وتوقيف من الله

لكن زكي مبارك لا يلتفت إلى مثل هذه الدلالات في كلام  
النبوة ، لأنه مشغول بترويج ما له من مذهب ورأى ؛ يتلطف  
للدخول به على الناس حيناً ، وبتعجم به عليهم حيناً ؛ تارة يلج  
وتارة يصرح ، وطوراً يجمع لهم الأصداد ويرميهم بالمتناقضات  
تلهمياً وتشفيكاً ، كأن بينه وبين الناس تأراً لا يشفي نفسه منه  
إلا أن يبلبل منهم الفسكر<sup>(١)</sup> ويترزل منهم العقيدة ليكون أدبه  
قوة تدمل الخصوم وترزّل الزمان<sup>(٢)</sup>

محمد أحمد الغمراوي

(١) و (٢) العدد ٣٥٥ من الرسالة صفحة ٧١٥

(٣) العدد ٤٩٣ من الرسالة صفحة ١١٣٨

(٤) العدد ٤٠٦ من الرسالة صفحة ٦٢٨

(١) العدد ٣٨٢ صفحة ١٦٢١

(٢) (١) العدد ٤٩٨ ٤٠